

تعريب جديد طقسي لمرثي الأسبوع المقدس

تقديم: السبب من وراء هذا التعريب والأهداف

"واو : وزال عن بنت القدس جميع بهائها" (المرثي ١ : ٦)

مع الدعاء إلى المسيح الرب كي يبارك هذا الصوم الأربعيني والأسبوع العظيم وينعم علينا بالمشاركة في آلامه لنحظى بفرح قيامته المجيدة، وقد "نلنا (بالدموع والدماء) قسطنا من الآلام شأن جنود صالحين للمسيح يسوع" (عن ٢ تيم ٢ : ٣) خصوصاً في الشرق الأوسط وإفريقيا ، يُسعد الداعي أن يقدم هذا التعريب الطقسي لمقطوعات "المرثي" أي القراءات التي تُرتل في الأسبوع العظيم حسب الليتورجية اللاتينية، آملاً أن يثير هذا الجهد عناية جميع المسيحيين الناطقين بالضاد.

السبب وراء هذه الخطوة هو ليس فقط الرغبة في محاكاة الأصل العبري بمحسناته اللفظية وإعجازه المبين بل أيضاً عدم التوافق ، لدى تلاوة المقطوعات المشار إليها من المرثي أو ترتيبها ، بين الأحرف (العبرية) التي نرتلها في أول آيات كثيرة من مرثي أبجدية والحرف العبري الذي تُستهل به الآيات نفسها ، كقول مرتلينا أو قارئنا : "باء ، تبكي بكاء في الليل ... أو : حاء ، الرب هو نصيبي ، أو : لام : قالوا لأمتهم ..."

سعيئاً إلى التطابق في الحرف العبري الأصلي والحرف العبري المنقول إليه ، وهذا أمر غير ممكن إلا في اللسان العبري والآرامي والسرياني. ولعلّ هذه الخطوة تبين بعون الله الإعجاز الأدبي في المرثي. وكان العالم الكبير ديليتش Delitsch قد حاول جاهداً بدء الآيات في المزامير الأبجدية في اللغة الألمانية (!) بنفس ما يقابل الأحرف العبرية ولكنه أخفق أحياناً ، على سلامة نيتته وعبقريته ، لغياب الكثير من الحروف السامية العبرية عن الألمانية!

وكانت كذلك هذه المبادرة الأدبية الإيمانية الطقسية المقدسية (للمزامير والمرثي) مناسبة لاستبدال بعض الكلمات الثقيلة على مسامعنا العربية مثل "صهيون" و "الطمث" ... - لا تبديلاً للنص المقدس الذي

يقتى على ما هو عليه في الطّبعات العلميّة بل تكييفاً له للطّقوس ، ليس إلّا، مساعدةً منّا لتقوى شعوبنا المحبوبة المتألّمة ومراعاةً لأحاسيسها ونزولاً عند رغبة الكثيرين من أبناء رعايانا والكثيرات.

هذا جهد راعويّ أدبيّ لا يُغني عن النصّ الأصليّ ونقله الحرّيّ في المقاطع التي تخصّ بعض الإعلام غير المحبّبة في بلادنا وبين ظهرانيها كعرب مظلومين مقهورين. طبعاً ، نحن أيضاً مسيحيّون نغفر ولكننا لا نتخلّى عن أوطاننا وحقوقنا ، من جهة. ومن ناحية أخرى ، عندنا تفسير تقليديّ من الكنيسة الرّسوليّة الذي يرى في "صهيون" أو "أورشليم" الكنيسة التي هي "إسرائيل الله". ولكن لطلما ترجّختنا شعوبنا المحبوبة أن نرأف بها وبمشاعرها ونحذف في الطّقوس فقط عبارات "تهزّ بدن" أقوامنا، أو نستبدلها – لا "تحريفًا" للكتاب المقدّس ، كما يحلو لبعضهم أن يتّهمنا ، بل مراعاةً لمشاعر الناس المشروعة. ويكرّر المرء لإخوتنا الآباء الكهنة المصريّين على أنه "يجب" على شعبنا أن يدرك ويكون عنده وعي ويجب ويجب – أنّ "يجب" وأخواتها غير عمليّة أحياناً بما أنّ الأسقف أو الكاهن ، بوجود هذه الأعلام "الثّقيلة" مثل "صهيون" ، إسرائيل" سيكون مضطراً كلّ مرّة إلى إعطاء هذا التفسير أي أن هذه الأعلام ترمز إلى الكنيسة. وبنفس الواقعيّة ، لا ننسى أنّ جماهير غفيرة من "مؤمنينا" لا يأتون إلى الكنيسة إلّا في هذه المناسبات ، وطّقوس الأسبوع العظيم طويلة "من غير هذه الوساطة". فلنوتّرّن عليهم هذه "الصّدمة" الإضافيّة...

يترك الدّاعي شأن القرار في هذا الموضوع للسلطة الكنسيّة ذات الكفاية ، ويقدم من غير ادّعاء هذا الجهد للتجريب وسط الاحتفالات المؤثّرة بآلام سيّدنا يسوع المسيح الخلاصيّة المأثورة!

ونصرخ بالدّعاء والدّموع الدّوارف : " يا أبت ، إن شئت أن تُبعد عنّا هذه الكأس ، ولكن لا كمشيئتنا بل كمشيئتك!"

في محبّة المسيح ، الأب د.د. بيتر حنا مدرّوس

دكتوراة في لاهوت الكتاب المقدّس ودكتوراة في العلوم البيبليّة

نصّ مقترح لمراثي الأسبوع المقدّس

ملحوظة : الكلمة الأولى من الفصل الأوّل تعطي اسم السّفر بالعبريّة "إيخاه" أي "كيف؟" للاستياء والندب والرّثاء ، ويمكن نقلها ب : "آه ، أواه".

وفي الآية الأولى نفسها ، لا يجوز في العربيّة أن يسبق الضّمير الاسم الذي يرتبط به . خطأ القول : "كيف جلست وحدها المدينة ... " بل "كيف جلست المدينة وحدها؟"

نصّ مراثي الأسبوع العظيم

خميس العهد

(١)

أ - آه ، كيف جلست وحيداً المدينة كثيرة الشعب ؟ +

أمست كأرملة - العظيمة في الأمم؟

السّيّدة في البلدان - باتت تحت الجزية؟^١*

ب- بُكاءً تبكي في اللّيل ، ودموعها على خديها ، +

لا معزّي لها من جميع محبّيها ،

كُلّ أحلاّئها غدروا بها ،

وصاروا لها خصوماً !*

^١ نلحظ الفعلين "أمسى" أي أصلاً "كان في المساء" و "بات" أي أصلاً "قضى اللّيل"

ج - جَلَّتْ (عشيرة) يهوذا للئوس ، وشدة العبودية +

أقامت بين الأمم ولم تجد راحة ،

جميع طارديها أدركوها بين المضايق!*

د - ذُروب القدس نائحة ، لغياب القادمين إلى الأعياد ،

جميع أبوابها مهذمة - كهنتها متنهَّدون ،

وعذارها مُتَحَسِّرات ، وهي في مرارة!*

هـ - ها قد صار مُضايقوها رأساً^٢ ، وأعداؤها أيسروا ،+

لأنَّ الرَّبَّ أذَّهَمَ ، لكثرة معاصيها ،

أطفالها باتوا مَسِيَّين ،

أمام وجه المضايق!*

(٢)

و - وزالَ عن بنت القدس^٣ كلُّ بمائها +

صار رؤساؤها كأياثل - لم تجد مرعى ،

وساروا من غير حَوْلٍ^٤ ، أمام وجه الطَّارِد!*

^٢ تُشبه هذا التَّعبيرَ العبارةَ العامَّةَ "طلعوا راس"

^٣ أصلًا "صهيون"

^٤ كقولك في العامَّة "فيش حيل" أي لا قوَّة !

ز (ذ) - ذكرت أورشالم^٥ في أيام بؤسها وشقائها +

جميع رغباتها ، التي كانت ترعاها منذ القِدم +

عندما وقع شعبُها في يد المضايق ، وما من أحدٍ نصرها ،

راها المضايقون ، وسخروا من زوالها !

ح - حلت بأورشالم النجاسة^٦ ، لأنها خطأً خطت +

جميع مكرميها احتقروها ،

لأنهم رأوا ما يُججل منها^٧ ،

أما هي فتنهدت ، وإلى الورا انقلبت !

ط - طالما استقرت نجاستُها في ذيوها ، ما تدكرت عاقبتها ،

وإذا بها في المخطاط مُذهل ، ولا معزي لها +

أنظرُ يا ربّ إلى بؤسها +

فإنّ العدوّ قد تعظّم !

(٣)

^{٥٥} لا معنى لكلمة "بروشالاييم" العبرية مع صيغة المثني ، فالأصل كنعاني "أور شليم" أي "مدينة شاليم" مثل "أور الكلدانيين".

^٦ في الأصل "الطمث"

^٧ بدل "سوءتها" أو "عورتها"

ي- يَدًا بَسَطَ الْعَدُوَّ - عَلَى جَمِيعِ رَغْبَاتِهَا،

فشاهدتِ الأممِ يَدْخُلُونَ مَقْدِسَهَا^١،

مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ نَهَيْتَ أَنْ يَدْخُلُوا أَيًّا مِنْ مَجَامِعِكَ.

ك - كُلِّ شَعْبِهَا مُتَنَهِّدٌ - يَلْتَمِسُ طَعَامًا +

قَدْ بَدَلُوا مُقْتَنِيَاتِهِمْ لِلْأَكْلِ وَانْتَعَشَ النَّفْسُ +

أُنْظُرْ، يَا رَبِّ، وَتَأَمَّلْ،

بِأَيَّةِ طَرِيقَةٍ صَرْتُ مُحْتَقِرَةٌ *

ل - لَعَلَّهُ بَلَّغَكُمْ يَا جَمِيعَ أَبْنَاءِ السَّبِيلِ +

تَأَمَّلُوا وَانظُرُوا : هَلْ مِنْ وَجَعٍ كَوَجَعِي الَّذِي أَصَابَنِي +

الَّذِي أَذَلَّنِي بِهِ الرَّبُّ +

يَوْمَ اسْتَشَاظَ عَضْبًا *

م - مِنَ الْعَلَاءِ أَرْسَلْ نَارًا إِلَى عِظَامِي - فَاشْتَعَلَتْ فِيهَا +

نَصَبَ شَرَكًا لِرِجْلِي - وَرَدَّنِي إِلَى الْوَرَاءِ +

جَعَلَنِي مُسْتَوْحِشَةً +

وَاهِنَةً طُولَ النَّهَارِ *

ن - نِيرٌ مَعْاصِيٍّ شَدَّهُ بِيَدِهِ +

فَتَأَلَّبَتْ وَثَقُلْتُ عَلَى كَاهِلِي +

^١ دخل المكان - لا فيه (بخلاف العبرية)

أَهَكَ قَوِّي +

جعلني السيّد في أيدي - لا أستطيع معها قياما *

الجمعة العظيمة

ح- خرابُ سور بنت القدس^٩ - عزّم الله أن يُنجزه +

مدّ خيط القياس^{١٠} ، وما ردّ عن التدمير يده +

وأقام المناحة في المترسة والسور^{١١} - فانهارا جميعًا*^{١٢}

ط - طُنِفَت أبوابها تَعُوضُ في الأرض، وقد دمّر مزاليحها وحطّمها +

مَلِكُهَا ورؤساؤها (مشتتون) بين الأمم، ولا شريعة +

حتى أنبياؤها لا يحطّون برؤيا - من لدن المولى *

ي - يسكتُ شيوخ بنتِ القدس^{١٣} - وقد قعدوا على الأرض مُطْرِقِينَ +

ألّفوا رمادًا على رؤوسهم - وَلَيْسُوا مُسُوْحًا +

عذراى أورشالم - أخفضن رؤوسهنّ إلى الأرض *

ك - كلّت عيناى من الدّموع - وجاشت أحشائي +

كَبِدِي تَدَهَوْر إلى الحُضِيض - لِإِنكَسَارِ بِنْتِ شَعِي^{١٤} +

إذ عُشِي على الطّفل والرّضيع - في ساحاتِ القرية *

^٩ الحاء والحاء حرف واحد في العبريّة والآراميّة خصوصًا في أول الكلمات.

^{١٠} "الخيط" كان يُستخدم في قياس الاراضي وتحديدّها.

^{١١} حرفيًا "وأبكى المترسة والسور"

^{١٢} حرفيًا "ذبلًا" أو "بادًا"

^{١٣} حرفيًا "بنت صهيون"

^{١٤} أي المدينة المقدّسة أو الشعب نفسه المشبّه بفتاة ضعيفة مقهورة

(٢)

ل - لأُمَّهَاتِهِمْ قَالُوا : " أَيْنَ القَمْحُ والسُّلَاف ١٥ ؟ " +

إذ عُشِيَ عَلَيْهِم كالجرحى ، في ساحاتِ المدينة +

وقد أُعِييتْ نفوسهم - على حُضُونِ أُمَّهَاتِهِمْ *

م - ماذا أَشَبَّهَ بِكَ ، وبأَيَّةِ عِبْرَةٍ أَعْظَمُ في شَأْنِكَ - أيا بنتِ اوروشا لم ١٦ ؟ +

ماذا أساوي بك - فأعزِّيكِ؟ -

أُتِّشُّهَا العذراء ، أيا بنتِ القُدس ١٧ ؟ *

ن - نَبِيؤُكَ رَأَوْا لِكَ الباطلِ والحُمقِ +

لم يَكشِفُوا عَنِ إِثْمِكَ لِيُرُدُّوا مَنفَاكَ +

بل رَأَوْا لِكَ أوهامًا وِغواياتِ *

س - سَخَّرَ جَمِيعَ عابِري الطَّرِيقِ - وقد صَفَّقُوا عَلَيْكَ بالأيدي +

صَفَرُوا وَهَتَّروا رُؤُوسَهُمْ - على بنتِ القُدس ١٨ +

"أَهْذِهِ هِيَ المَدِينَةُ - الَّتِي يَدْعُوْنَهَا كَامِلَةَ الجَمالِ +

بِهَجَّةِ الأَرْضِ كُلِّهَا ؟ *

١٥ أي "الخمير"

١٦ وهي المدينة المقدسة نفسها

١٧ حرفياً "بنت صهيون"

١٨ في الأصل "بنت صهيون" وهي المدينة ذاتها

(٣)

أ - أنا هو الرَّجُلُ الَّذِي رَأَى الشَّقَاءَ +

الَّذِي أَحَلَّهُ عَصَا غَضَبِهِ *

أ - إِلَى الظُّلْمَةِ قَادِي وَغَمْرِي بِالذَّجُورِ +

دُونَ النُّورِ *

أ - الْيَدُ عَلَيَّ يَمُدُّهَا +

وَيُعِيدُ الْكَرَّةَ النَّهَارَ كُلَّهُ ! *

ب - بَشَرْتِي أَهْرَمَ وَجِلْدِي +

وَهَشَّمْ عِظَامِي ! *

ب - بَنِي عَلِيٍّ أَنْقَاضِي +^{١٩}

وَأَحَاطَنِي بِالْمَرَارَةِ وَالْمَشَقَّةِ^{٢٠}

ب - أَسْكَنِي الظُّلْمَاتِ +

مِثْلَ الَّذِينَ بَاتُوا مِنْذُ الْقَدَمِ مِنَ الْأَمْوَاتِ ! *

ج - جَعَلَ يُسَيِّجُ عَلَيَّ لِثَلَاثِ أَحْرُجِ +

وَأَنْتَقَلَ فَيْدِي ! *

^{١٩} "حرفياً في العبرية "بنى علي" ولكن العبارة في العربية تعني : تزوج الفتاة أو المرأة
^{٢٠} "اكتنفتني بمرارة ومشقة" تعني أن هو - أي الله تعالى - هو الذي عانى المرارة والمشقة ، حاشى وكلاً.

ج - جُلَّ صُرَاخِي وَاسْتَعَاثَتِي يَرْدُّ +

وصلاحي يصدُّ!

ج - جعل يسبِّح على طُرْفِي بِأَكْوَامِ حَجَارَةٍ^{٢١} +

وَدَمَّرَ دَرُوبِي^{٢٢}*

سبت النور (السهرة الفصحية)

المراثي ١

ح - حنانُ الرَّبِّ لا يَدْعُنَا نَضْمِجِلُّ +

لأنَّ مَرَايِمَهُ لا تَزُولُ

ح - حُنُوءُهُ جَدِيدٌ فِي كُلِّ صَبَاحٍ +

وأمانتُك (ربِّ) عظيمة^{٢٣} !

ح - "حظِّي هو الرَّبِّ" ، (هكذا) قالت نَفْسِي +

لِذَا عَلَّقْتُ عَلَيْهِ الْأَمَالَ*

ط - طَيِّبُ الرَّبِّ لِلَّذِينَ يَنْتَظِرُونَهُ +

لِلنَّفْسِ الَّتِي تَلْتَمِسُهُ*

ط - طَيِّبٌ أَنْ يُنْتَظَرَ خِلاصُ الرَّبِّ +

^{٢١} لفظة "نحيت" صعبة الفهم

^{٢٢} بدل "مسالكي" إذ اكتسبت اللفظة معنى جديداً (فيزيولوجياً)

^{٢٣} في النص الأصلي التفات اي انتقال من صيغة الغائب إلى المخاطب

في السكوت*

ط - طيبٌ للإنسان أن يحمل التير^{٢٤} +

في صباهه*

ي- يجلسُ وحده ويسكُت +

لأنَّ (الله وضع هذا التير) عليه^{٢٥}*

ي- يُعقر في الترابِ فاه +

لعلَّ هُنالك من رجاء*

ي- ييدُلُ خدَّه للذي يلطمُه^{٢٦} +

ويشعُّ تعبيراً*

(٢)

أ - آه ، كيف اكدَرَ الذهبُ - وتغيَّر النَّضارُ الخالصُ؟+

وتبعثرت حجاره المقدس^{٢٧} - في رأس كلِّ شارع؟!*

ب- بنو القدس الكرام^{٢٨} - الموزونون بالإبريز +

كيف حُسبوا آنيةً من فُخَّار - عملَ يدي الخزافِ؟*

ج - جِراءٌ رَضِعَت^{٢٩} - وقد كَشَفَتْ حَتَّى بناتِ آوى عن أئدائها +

^{٢٤} حرفياً "للرجل" في الفكر الذكوري القديم

^{٢٥} حرفياً "لأنه وضعه عليه" - قد يحوي النقل الحرفي التباساً.

^{٢٦} لا يجوز في العربية "لمن" إذ أن "من" لها حق الصدارة

^{٢٧} "القدس" في العبرية "قودش" لا تعني "مدينة القدس" بل المكان المقدس.

^{٢٨} حرفياً "بنو صهيون"

أما بنت شعبي فباتت مُتفيرة - كالنعام في البرية!^{*}

د - دام لسان الرضيع ملتصقاً عطشاً بجنكه +

الأطفال طلبوا حُبزاً - ولم يكن من يكسره لهم!^{*}

هـ - هلك الذين كانوا يأكلون الطيبات - بأدوا في الشوارع +

والذين ترعرعوا في القرمز - احتضنوا التفافات!^{*٢٠}

و - وجنى إثم بنت شعبي عليها^{٢١} - عقاباً أشد من (فصاص) خطيئة صادوم +

التي قلبت في لحظة - وما مدت يد (لنجدتها)^{٢٢*}

^{٢٩} أي صغار الكلاب

^{٣٠} حرفياً "المزابل" وهي لفظة من الأفضل تخفيفها

^{٣١} أي المدينة المقدسة مبدئياً أو الشعب نفسه.

^{٣٢} حرفياً "ما مدت إليها يد" تحتاج إلى إيضاح.